وكبّرت الله أكبر
في " لا قانون ضدّ الأقدام العائدة"
للدكتورة سناء شعلان

بقلم: أ. د.شوكت علي درويش/ الأردن

يميل المبدع إلى التخييل سعياً منه لإشراك القارئ في مُبْدَعه الشّعريّ أو النّثريّ،والقارئ النّاقد قد يعمل ذاكرته ليلتقط التّخييل،ويزيد عليه،فيصبح مبدعاً للنّص،وكم من مبدع تسمعه يقول :أنا لم يخطر ببالي ما تقول،ولم أفكّر به.وهذا قمّة سحر الكلمات والتّخييل،ولذا أقول: اللّغة عدّة الكاتب وعتاده،والرّابط الأقوى بين المبدع والقارئ.

اللّغة:

تميل د.سناء شعلان في قصصها القصيرة جدّاً إلى أنسنة الحدث أو المكان أو الشّخصيّة(غير الإنسان)،وهو ما يعرف في البلاغة بالاستعارة؛والاستعارة من المجاز اللّغويّ،وتميل د.سناء للاستعارة المكنيّة التّخييليّة،"وهي ما حذف فيها المشّبه به،ورمز له بشيء من لوازمه" (1).وأرى أنّ هذا النّهج يعزّز الشّراكة بين المرسل/القاصّ،أو الشّاعر،أو الرّاوي،أو ... – والمستقبل/القارئ،أو النّاقد...،ويقوّي الرّوابط بين المرسل والمستقبل في التّخييل (الاستعارة المكنيّة) تقول من بداية نصّها :" مرض السّكري أكل القدم اليمنى لمؤذّن الجامع في الحارة

القديمة" (2).التّخييل هنا فتح المجال بتشبيه مرض السّكري بإنسان أو وحش مفترس(أسد،نمر،...) أو طائر جارح،فحذفت المشبّه به،ورمزت له بشيء من لوازمه،ثم "سرقه الموت"(2) من المشبّه به السّارق (إنسان) أو (حيوان مفترس) أو (طائر)...؟ ثم " قدمه اليتيمة قرّرت أن تحقّق الأمنية" (2)،المشبّه به إنسان يسعى لتحقيق ما يتمنّاه،و"في الزّقاق القديمة التي تحفظها عن ظهر قدم"(2)،ولم تقل " عن ظهر قلب،كما هو دارج في الأدب،وأميل إلى أنّ د.سناء شعلان وظّفت ما تحفظه من كتاب الله الكريم،قال تعالى:" ﴿ **فَمَا اسْتطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبَاً**﴾] الكهف 18: 97]،ومعنى يظهروه:يعلونه بصعود فيه،فمع ما فيها من استعارة حيث المشبّه به المحذوف هو الإنسان،لكنّها ما فيها من استعارة حيث المشبّه به هو الإنسان،لكنّها أرادت أن يكون بطلها (القدم) شخصيّة نامية،وأن طريق القرية تعلو ويُصعد فيها،ليصل بطلها (القدم) إلى متمنّاه وغايته "ويممتْ نحو السّنديانة المعمّرة في البستان الجبليّ" (3)

الشّخوص:

شخصيّة مؤذّن الجامع في الحارة القديمة الذي فقد قدمه اليمنى،شخصيّة موطئة للشّخوص الأخرى،ذات بعد تفاعليّ مع الشّخصيّة الثّانية : الهاتف " لكن هاتفاً في المنام صاح فيه أنّ عليه أن يصنع له قدمين من السّنديانة الكبيرة في أرضه التي تقع الآن خلف الجدار العازل"(4)،الشّخصية الثّالثة: جنود العدوّ وقباحتهم "ففي كلّ مرّة كان الجنود يردونه رداً قبيحاً "(5)،الشّخصيّة الرّابعة: "قدمه اليتيمة قرّرت أن تحقّق الأمنية"(6)، شخصيّة نامية،حقّق التّخييل فيها ما أرادت الكاتبة أن تقوله من أنّ الاحتلال يحارب "الله أكبر"،وكأنّها استشرفت المستقبل، فقد منع المحتل رفع الآذان من المساجد غير مرّة وفي غير مدينة (القدس والخليل...)، ولذا نرى القدم اليتيمة " التي انشلعت من جسده بلين ودعة"

(7)،لم تكترث بتحقيق أمنية صاحبها،بل وكما قالت المقدسيّة المرابطة في يوم 24/7/2017 في ثورة حماية الأقصى " أمّة قائدها محمد لن تُقهر" ،ووصلت إلى المكان "مكان السّنديانة"،و "كبّرت الله أكبر" (8)

وهكذا حقّت د.سناء ميزات القصّة القصيرة من حيث عدد الكلمات،وقصر الجمل،مع إبراز حدث نامٍ للشخصيّة الرّئيسة،لتبدع قصّة استشرافيّة،وسيبقى "الله أكبر" مدويّاً إلى أن يرث الله الأرض وما عليها،الله أكبر،الله أكبر،الله أكبر .

الإحالات:

(1) البلاغة الواضحة،علي الجارم ومصطفى أمين؛حقوق الطّبع والنقل محفوظة لشركة مكملان بلندن،ط 19؛1386 هـ، 1966م،ص 77.

(2) حدث ذات جدار،د.سناء الشعلان،أمواج للطّباعة والنّشر والتّوزيع،المملكة الأردنية الهاشميّة،ط 1، ص 77.

(3) المرجع نفسه،ص 75.

(4) المرجع نفسه:ص 74.

(5) المرجع نفسه:ص 74.

(6) المرجع نفسه:ص 74

(7) م.ن:ص 74

(8) م.ن:ص 65.